ISSN: 3079-062X
مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alasala.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/aj/index

لطائف بيانيـــــة مختارة من ســـــورة الرحمن

أ.طه سالم محمد محمد*
الهيئة الليبية للبحث العلمي
antaha239@gmail.com
تاريخ الاستلام 3/22 / 2026م تاريخ القبول 23 / 4 / 2026م

Selected Figurative Styles from Surah Ar-Rahman

*A. Taha Salem Mohamed Mohamed
Libyan Scientific Research Authority

Summary:
Surah Ar-Rahman has been described as ‘the Bride of the Qur’an’, and indeed it is
filled with aspects of beauty that confirm its worthiness of this title. It opens by mentioning the greatest
blessings, foremost among which is the blessing of the teaching of the Qur’an, the creation of humankind and their preparation to receive revelation and act
upon it. It also presents manifestations of divine power in the universe, and depicts the horrors and scenes of the Day of Judgement,
alongside what has been prepared for the believers in Paradise, whilst containing praise of the Almighty and a declaration of His greatness.
This surah features various manifestations of rhetorical miracles, including the technique of anticipation
and delay, with the semantic subtleties it carries that deepen the meaning
Keywords: subtleties, the Qur’an, rhetorical miracles, anticipation and delay,

الملخـــص :

وصفت سورة الرحمن بـ "عروس القرآن" ، إلا لما اشتملت عليه من وجوه الجمال التي تؤكد استحقاقها بهذه التسمية ، فقد افتتحت بذكر أعظم النعم ، وفي مقدمتها نعمة تعليم القرآن، وخلق الإنسان وإعداده لتلقي الوحي والعمل به ، كما

عرضت مظاهر القدرة الإلهية في الكون، وصورت أهوال القيامة ومشاهدها، إلى جانب ما أعده للمؤمنين في الجنة، ومتضمنةً الثناء عليه تعالى وبيان عظمته ، وقد برزت في هذه السورة مظاهر متعددة من الإعجاز البياني ، من بينها أسلوب التقديم والتأخير بما يحمله من أسرار دلالية تعمق المعنى

الكلمات المفتاحية : لطائف ، القرآن ، الاعجاز البياني ، التقديم والتأخير ،

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح العرب لسانًا، وأبلغهم بيانًا، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

تُعَدُّ سورة الرحمن نموذجًا فريدًا لهذا الإعجاز البياني، بما تحوته من أساليب وصورٍ بلاغية ، والمتأمل في لطائفها البيانية يدرك جانب من أسرار النظم القرآني. ومن هنا جاء هذا البحث بعنوان " لطائف بيانية مختارة من سورة الرحمن " .

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في عدة تساؤلات وهي :

ما السر في ابتداء السورة باسم من أسماء الله الحسنى ؟

ـ ما أبرز مواضع التقديم والتأخير في السورة، وما أسرارها البلاغية ؟

ـ ما دلالات التكرار في سورة الرحمن، وبخاصة تكرار قوله تعالى :﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وما أثره في بناء المعنى ؟

ـ كيف تجلّت المقابلة في السورة، وما دورها في إبراز التباين بين النعيم والعذاب ؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن أسرار اللطائف البيانية في السورة لفهم دلالات القرآن الكريم .

أهمية البحث:

تتجلّى أهمية هذا البحث في إبراز جانب من إعجاز القرآن الكريم البياني ، من خلال دراسة تطبيقية على سورة الرحمن ، بيان أثر الأساليب البيانية في تعميق الفهم الصحيح للنص القرآني .

أسباب اختيار الموضوع

إن سبب اختياري لهذا الموضوع ، هو مساهمة مني في بيان ما تتميز به هذه السورة من جماليات فنية وبلاغية ، بما يخدم البحث العلمي ، ويسهم في تذكير والمعرفة لنفسي ، وتوضيح ذلك للقارئ بأسلوب واضح ومفهوم ، ولا سيما لغير المتخصصين .

الدراسات السابقة :

ـ أساليب التشبيه في سورة الرحمن دراسة تحليلية بلاغية ، للباحثة إئين سافطرى. ، يركّز على فنّ بلاغي واحد محدد وهو التشبيه، ويبين أثر التشبيه في توضيح المعاني ـــ التكرار في سورة الرحمن: مقاصده وأغراض الطاعنين فيه يركّز على أسلوب التكرار، والرد على الطاعنين .

ـ تناولت هذه الورقة في ذكر تنوّع الأساليب البيانية في السورة ، والكشف عن جماليات متعددة في السورة .

منهج البحث :

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلى

تمهيـــــــد:

سورة الرحمن مكية كلها ، على رأي الجمهور ، وقال بن عباس ـ رضى الله عنه ـــ مكية ، إلا آية منها هي قوله تعالى: ﴿ **يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**) فمدنية ، ورأى بن مسعود ومقاتل مدنية كلها ، والأصح كما ذكر القرطبي ، وابن كثير، والجمهور أنها مكية كلها، وهو قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر.(1)

ودليلهم: ما روى عروة بن الزبير قال: أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود، وذلك أن الصحابة قالوا: ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قطّ، فمن رجل يسمعوه؟ فقال ابن مسعود: أنا، فقالوا: إنا نخشى عليك، وإنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه، فأبى، ثم قام عند المقام، فقال: ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. الرَّحْمنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ**)ثم تمادى رافعا بها صوته، وقريش في أنديتها، فتأملوا وقالوا: ما يقول ابن أمّ عبد؟ قالوا: هو يقول الذي يزعم محمد أنه أنزل عليه، ثم ضربوه، حتى أثّروا في وجهه.(2)

عن جابر ـــ رضي الله عنه ـــ قال: خرج رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ على أصحابه، " فقرأ عليهم سورة (الرحمن) من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: لقد قرأتها على الجنّ ليلة الجن، فكانوا أحسن مردودا منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿ **فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)** قالوا: لا بشيء من نعمك ربّنا نكذب، فلك الحمد".(3)

افتتحت السورة ببيان أعظم النعم، وهي نعمة تعليم القرآن، بوصفه أصل الهداية ومصدر التشريع ، ثم ذكرت خلق الإنسان وتعليمه البيان، إشارةً إلى تميّزه واستعداده لتلقي الوحي والعمل به ، وتتابعت الآيات في عرض مظاهر القدرة الإلهية في الكون

، وأبرزت دلائل القدرة في الظواهر الكونية دقيقة ، ثم انتقلت إلى تقرير حقيقة الفناء ، وعرضت مشاهد القيامة وأهوالها ، وصورت نعيم المؤمنين في الجنة ، وتكررت في السورة آية: ﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ ، تأكيدًا على تعدد النعم ، وخُتمت السورة بتمجيد الله تعالى والثناء عليه ، تأكيدًا لعظمته وكمال إنعامه(4)

وَو جْهُ تَسْمِيَةِ هَذِهِ السُّورَةِ بِسُورَةِ الرَّحْمَنِ ، أَنَّهَا ابْتُدِئَتْ بِاسْمِهِ تَعَالَى ، وهو (الرحمن) وهو اسم مبالغة من الرحمة، وهو أشد مبالغة من (الرحيم) . قال الطبري: الرحمن: لجميع الخلق، والرحيم: بالمؤمنين.(5) ، وَذَكَر السيوطي أَنَّهَا تُسَمَّى عَرُوسَ الْقُرْآنِ . فعَنْ عَلِيِّ بن أبي طالب ــ رضى الله عنه ــ أَنَّ النَّبِيءَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « لِكُلِّ شَيْءٍ عَرُوسٌ وَعَرُوسُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الرَّحْمَنِ »(6)، وذكر ابن عاشور: إن سبب نزولها - قول المشركين المحكي في قول الله تعالى : ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا**﴾ (7) فَتَكُونُ تَسْمِيَتُهَا بِاعْتِبَارِ مَعْنَى إِثْبَاتِ وَصْفِ الرَّحْمَنِ. وقال أيضا: في سبب ترولها قول المشركين المحكى في قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ**﴾ (8) ، فرد القرآن عليهم بأن الرحمن هو الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، وكذلك رد على مزاعمهم أن القرآن أساطير الأولين (9)

تظهر هذه السورة شرح وتفصيل لآخر السورة التي قبلها، ففي سورة القمر بيان إجمالي لأوصاف مرارة الساعة ، وأهوال النار، وعذاب المجرمين، قال تعالى : ﴿**بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ**﴾ (10) ، وفي هذه السورة تفصيل على الترتيب الوارد في الإجمال ، من وصف لمرارة الساعة والنار، وأهلها ، قال تعالى : ﴿**هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ**﴾ ذكر الله تعالى في السورة السابقة أنواع النقم التي حلت بالأمم السابقة ، وفي هذه السورة ، ذكر الآلاء والنعم الدينية والدنيوية ، وافتتح السورة السابقة بما يدل على العزة ، والجبروت ، والهيبة ، وهو انشقاق القمر، وافتتح هذه السورة بما يدل على الرحمة وهو إنزال القرآن. (11)

ختمت السورة السابقة ببيان صفتين لله ــ عز وجل ــ يدلان على الهيبة والرهبة والعظمة وهما (المليك المقتدر)، وابتدئت هذه السورة بصفة أخرى ، وهي صفة (الرحمن) وبيان مظاهر رحمته وفضله على الإنسان ، وفي الكون كله سمائه وأرضه، فهو سبحانه عزيز مقتدر بالنسبة إلى الكفار، رحيم منعم بالمؤمنين .(12)

ذكر في هذه السورة وصف المجرمين وما استحقوه من العذاب ، والسابقون وما وعدهم من الجنات ، قال تعالى :﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ** ﴾ ، وأهل اليمين: وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ذكرهم من غير تفصيل .(13)

وفي سورة الواقعة تفصيل ، مع ذكر مراتبهم وما ينالونه من استحقاق في الدار الآخرة ، المجرمون ، والسابقون ، وأهل اليمين ، قال تعالى : ﴿**وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً** ﴾ (14) ، فسورة الرحمن وسورة الواقعة متواحيتان ، فكل منهما وصف القيامة والجنة والنار.(15)

المطلب الأول ـ مواضع التقديم والتأخير الواردة في السورة :

يعد التقديم والتأخير من الأساليب البلاغية ، التي تحمل أسرارا بيانية ، تظهر إعجاز النظم القرآني ، وتكشف عن التناسق بين الألفاظ والمعاني ، وقد ورد هذا الأسلوب كثيرا في القرآن الكريم ، وأقتصر في ذكره على الآيات الواردة في سورة الرحمن .

قال تعالى : ﴿**ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ**﴾ ابتدأت السورة باسم من أسمائه ـ سبحانه وتعالى ـ وهو صفة مشبهة على وزن فعلان ، وما كان على وزن فعلان ، فهو أعم وأشمل ، أي ما عمت رحمته كل شيء ، ولا يتسمى بهذا الإسم غير الله تعالى ، بخلاف رحيم ، قال تعالى : ﴿**حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ**﴾ (16) فكَانَ الْاِهْتِمَامُ بِذِكْرِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّبِي ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ الْقُرْآنَ وبيسره للذكر ليحفظ ويتلى ، أَقْوَى من الاهتمام بالتعليم ، فقدم أعظمها نعمة وأعلاها رتبة وهو القرآن العزيز ؛ لأنه أعظم وحي الله إلى أنبيائه ، وأشرفه منزلة عند أوليائه وأصفيائه ، وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على أفضل البرية .(17) ، وآخر ذكر خلق الإنسان ؛ ليُبيّن أن غاية خلقه هي الدين، وليُحيط علماً بوحي الله وكتب ، وما خُلق الإنسان لأجله ، كأن الهدف من إنشائه هو الأساس والأسبق على غيره من الأمور.(18)

ذكر الله تعالى الوصفَ الذي يمتاز به الإنسان، وهو النطقُ المعبّر عن الضمير، الذي تتحقق به قابليةُ التعلُّم، وعبر عنه بالبيان ، فلننظر للأخرس لا يمكن أن يتلقَّى شيئًا مما يُدرك بالنطق ، وفعل "علَّم" متعدٍّ إلى مفعولين، حُذِف أولهما للدلالة على تعدُّد المتعلِّم.(19)

يتضح من تقديم ذكر تعليم القرآن في السياق القرآني على ذكر خلق الإنسان، أنّ تعليم القرآن كان سابقًا في التقدير والزمن. فالخطاب القرآني يدلّ على أن الله سبحانه وتعالى

قد علّم القرآن قبل خلق الإنسان ، كما قال تعالى : ﴿**إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ**﴾(20) .

ــ قال تعالى ﴿ **وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ**﴾ ، قدم " السماء" على الفعل الناصب ، بالرغم من كون الجملة فعلية ؛ لتعزيز الانتباه والاعتبار بخلقها وزيادة في الاهتمام بها ، إذ في ذلك تأكيد على عظيم نعمها على الإنسان، خاصة وأن السورة جاءت في ذكر تعداد النعم (21) فهذا نظير قوله تعالى : ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ**﴾(22) ، فقدم الاسم للعناية والاهتمام .

3. قال تعالى: ﴿ **خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ**) قدَّم ذكر خلق الإنسان على الجان ،لإظهار كمال النعمة في خلق الإنسان من مادة لينة قابِلَة للتهذيب والكمال، بخلاف النار التي تُشير إلى خفَّة وطيش، مما يُبرز تفضيلَ الإنسان وشرفَ عنصره.(23)

4. قال تعالى : ﴿ **يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ**﴾ ، قُدِّم الجن لأنهم أقوى في تنقلهم وسرعة حركتهم ، وبلوغهم أن يتخذوا مقاعد في السماء للاستماع .(24) كما قال تعالى على لسانهم : ﴿**وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا**﴾ (25) ، قُدِّمُوا كذلك لِأَنَّ خَلْقَهُمْ كَانَ أَسْبَقَ مِنْ خَلْقِ الإِنْسِ، قَالَ تَعَالَى : **وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ**(26) ، وقال تعالى :﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (27)

المطلب الثاني ـ التكرار الوارد في الســـــورة :

تعريف التكرار لغة :

التكرار: مشتق من الكَرَّ، وهو الرجوع ، وكَرَّرَ الشَّيْءَ وكَرْكَره : أَعاده مَرَّةً بَعْدَ أُخرى .(28)

اصطلاحًا في البلاغة العربية، هو إعادة لفظ أو جملة في سياق واحد لأغراض مثل التأكيد أو التنبيه أو الإيقاع. (29)

هُوَ أَن يُكَرر الْمُتَكَلّم اللَّفْظَة الْوَاحِدَة بِاللَّفْظِ وَالْمعْنَى؛ وَالْمرَاد بذلك التهويل والوعيد، كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿**ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ**﴾ (30) ، أَو الْإِنْكَار والتوبيخ كتكرار قَوْله تَعَالَى:﴿ **فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ ، أَو الاستبعاد كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿**هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ**﴾ (31) ، أَو لغَرَض من الْأَغْرَاض (32) .

إن أسلوب التكرار ليس مجرد إعادة للألفاظ على مسامع السامعين , بل هو أداة بيانية رفيعة تتنوع مقاصدها وتتعدد وجوه استعمالاتها بحسب المقام وسياق الكلام ,

فتارة يكون للتوكيد وترسيخ المعنى في النفوس ,وتارة يستعمل لشد الانتباه ، أو لإظهار وبيان العاطفة ، أو للتعجب ، أو للتهديد والوعيد والتهويل ، لتعظيم شأن أمر ما ، أو لإيقاع موسيقي يطرب السامع , ثمة حقيقة لا يختلف فيها أهل البلاغة إلا من غلط وهي : أن التكرار إذا وضع في موضعه وكان على مقتضى الحال كان من محاسن الفصاحة وسر جمالها (33)

فله عدة استعمالات ولكن قبل إيراد استعماله لا بد من التأكيد على أنه من محاسن الفصاحة , وقد غلط من قال بانه ليس كذلك . وقد ذكر الله عز وجل سبب التكرار في قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ (34)

والتكرار لا يقتصر على صورة واحدة بل يتنوع بتنوع البنية اللغوية , فقد يقع في الحرف فيمنح العبارة إيقاعا ونبرة متكررة ترسخ المعنى , وقد يكون في الاسم فيعظم شأنه ويمنحه حضورا في الذهن ويبرزه ,وقد يأتي في الفعل فيوحي بالاستمرار أو التجدد أو توالي الأحداث , وقد يتجاوز ذلك التكرار فيرد في الجملة فتتكرر بأسرها فيوقذ به القلب ويستثير الفكر، ومن ذلك التكرار في السورة التي نحن بصدد دراستها (35)

أورد فخر الرازي حكم بلاغية لتكرار قوله تعالى : ﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ وقال بأن تكرار الآية لم يكن لمجرد التوكيد اللفظي فحسب ؛ بل وراءه حكم بلاغية منها : تقرير النعم وهذه الحكمة يكاد غالب المفسرون قال بها , وأن كل نعمة من يعقبها هذا الاستفهام لتقرير تلك النعم .

ومنها : أن التكرار لأجل التوبيخ والتقريع إذ لا يمكنكم تكذيب شيء من هذه النعم .

ومنها: أن اختلاف السياق يقتضي التكرار , وذلك أن الآيات في السورة تنتقل بين نعم الدنيا , وأهوال القيامة , ونعيم الجنة , وعذاب النار, وفي كل مقام منها يقتضي إعادة للسؤال ؛ لأن المكذب به في كل موضع يختلف بحسب السياق.

ومنها مخاطبة للإنس والجن معا ، فجاء الخطاب بصيغة التثنية يدل على أن توجيه السؤال للاثنين معا والتكرار مشعر بتأكيد الحجة عليهما (36)

وعند ابن عاشور يسمي التكرار الوارد في السورة تعدادا وليس تكرارا ؛ لأنه ليس تكريرا لمجرد التأكيد والتقرير لنعمه عز وجل فحسب ؛ بل هو توبيخا وتعريضا على إشراكهم به سبحانه وتعالى (37)

إن الله سبحانه وتعالى عدد في السورة صنوف نعمه , وذكر عباده بآلائه وآثار قدرته , ثم جعل بين كل نعمتين فاصلة توقظ القلوب وتجدد التذكير ؛ لينبههم إلى عطاياه

ويقرهم بها , فلا تمر عليهم النعمة مرور الغافلين , بل يتأملونها بعين الشكر والاعتراف (38)

فالتكرير طرد للغفلة وتأكيد للحجة ، كما نقل عن الحسين بن فضل البجلي .(39) تكررت هذه الآية إحدى وثلاثون مرة ، لأن التكرار في مقام الخطب والمواعظ أبلغ في التأثير , وأرسخ في التذكير , وأوقع في النفوس, وإن كل تكرار فيها ليس كالأول ؛ بل جاء المعنى متجدد والسياق متغاير، فاقتضى المقام إعادة اللفظ لاختلاف التقدير وتنوع الدلالة .

وخصت بهذا العدد لحكمة بديعة , إذ وردت ثمان مرات عقب آيات تجلي عجائب خلق الله وبدائع صنعه واتقانه، ومبدأ الخلق ومعاده. وجاءت سبعا بعد آيات تذكر النار وأهوالها على عدد أبواب جهنم , وتكررت ثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة , ثم ثمانية أخرى في شأن الجنتين المذكورتين في قوله تعالى : ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ**﴾ ، فمن أيقن بالثمان الأولى وعمل بمقتضاها ، استحق الثمانيتين من فضل الله ووقاه الله السبعة الأخرى - والله أعلم بحكمته (40)

المطلب الثالث ـ أسلوب المقابلة الواردة في السورة :

تعد المقابلة لونٌ من ألوان المحسّنات البديعية ، تقوم على إيراد معنيين أو أكثر، ثم الإتيان بما يقابلها على الترتيب ، بقصد إبراز المعنى ، وقد عرفت في كتب المعاجم ، كما جاء في لسان العرب: بأن المقابلة تعني : قابل الشيء مقابلة وقبالا عارضه، إذا ضممت شيئا إلى شيء قلت: قابلته به ، ومقابلة الكتاب بالكتاب مقابلته به ، وتقابل القوم استقبل بعضهم بعضا، والمقابلة المواجهة والتقابل مثله .(41)

تعريف المقابلة اصطلاحا:

وردت عدة تعريفات للمقابلة وأقتصر على ذكر تعريفين وهما :

المقابلة : وهي أن يوفق بين معان ونظائرها والمضاد بضده .(42) ، وعرفها العسكري : بأنها إيراد الكلام ، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة.(43)

من خلال ذكر التعريفين يتضح بأن المقابلة في القرآن الكريم بوصفها أداة بيانية ، تُظهر التوازن الدقيق في الخطاب ، وتؤكد سنّة التقابل في الكون والحياة ، وهذا ما نجده في سورة الرحمن ، حتى أصبحت من السور التي يتجلّى فيها النسق الثنائي القائم على الموازنة بين الأضداد.

من صور المقابلة في السورة ، والتي تشتمل على فنون بلاغية كثيرة ، ومن أبرزها

ما جاء في عرض مشاهد القيامة ، ووصف نعيم أهل الجنة .

أولا : قال تعالى : عن حال المجرمين ﴿**يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلْأَقْدَامِ** ﴾، وقال تعالى أيضا : ﴿**هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ** ﴾ ، يقابل ذلك حال المتقين قوله تعالى: **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ** ذكر الله تعالى في كتابه العلامة المميّزة للمجرمين وأهل الكفر يوم القيامة، وقد دلَّ القرآن الكريم على أن من أبرز تلك العلامات ، سواد وجوههم وزرقة عيونهم، قال تعالى : ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾ (44) ، ويظهر من سياق الآيات أن الكفار يلقون يوم القيامة صنفين من ألوان الإهانة والعذاب ، أحدهما: أنهم يُساقون إلى النار سوقًا شديدًا بعنف وقهر، الثاني: أنهم يُوبَّخون ويُقرَّعون عند عرضهم على النار، فيقال لهم : ﴿**هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾ (45) ، وهذان المعنيان اللذان تضمنتهما هذه الآية ، قد جاءت نصوص أخرى من القرآن الكريم تؤكدهما وتوضحهما ، فأما توبيخهم وتقريعهم عند إدخالهم النار، فقد ورد في مواضع متعددة من القرآن(46) . من ذلك قوله تعالى : ﴿**كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ**﴾ (47) ينتقل القرآن الكريم من مشهد الإذلال والعذاب إلى مشهد التكريم والنعيم، في مقابلة واضحة بينهما.

ذكر الرازي لطيفتين في الآيتين:

اللطيفـــة الأولى: التعريف والتنكير: تعريف لعذاب جهنم، بينما الثواب منكَّر ، وهذا إشارة إلى كثرة مراتب الثواب التي لا تُحَدّ، ونعمه التي لا تُعَدّ ، فآخر العذاب جهنم، وأول مراتب الثواب الجنَّة ، ثمَّ بعدها مراتب ومكانة أعلى.

اللطيفة الثانية: الخوف والخشية : الخوف خشية سببها ذُلُّ الخاشِي، أما الخشية فخوف سببها عَظَمَةُ المَخْشِيّ. قال تعالى:﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ**﴾ (48) لأنَّهم عرفوا عظمة الله فخافوه لا لذُلٍّ منهم، بل لعظمة الله عز وجل .(49)

يظهر في السورة أسلوب المقابلة بين الآيات التي تصف نعيم أهل الجنة، فقُسِّموا إلى درجتين ، فأيهما أعلى رتبة الجنتين الأوليين أو الأخريين .

ثانيا : قال تعالى: وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ بينما يقابلها قوله تعالى : ﴿**وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَآمَّتَانِ** ﴾ . الفنن وَهُوَ الْغُصْنُ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَفْنَانٌ عَظِيمَةٌ كَثِيرَةُ الْإِيرَاقِ وَالْإِثْمَارِ(50) . قال ابن عاشور: وَمَعْنَى مِنْ دُونِهِما يُحْتَمَلُ أَنَّ (دُونَ) بِمَعْنَى (غَيْرَ) ، أَيْ ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ، وَجَنَّتَانِ أُخْرَيَانِ غَيْرُهُمَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: لِّلَّذِينَ**

أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) (51)، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (دُونَ) بِمَعْنَى أَقَلّ، أَيْ لِنُزُولِ الْمَرْتَبَةِ، أَيْ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ أقلّ من الْأَوَّلين ، فَيَقْتَضِي ذَلِك أَن هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ لِطَائِفَةٍ أُخْرَى ، مِمَّنْ خَافُوا مَقَامَ رَبِّهِمْ هُمْ أَقَلُّ مِنَ الْأَوَّلِينَ فِي دَرَجَةِ مَخَافَةِ اللَّهِ تَعَالَى .، ومُدْهامَّتانِ وَصْفٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الدُّهْمَةِ ، وَهِيَ لَوْنُ السَّوَادِ. وَوَصَفَ الْجَنَّتَيْنِ بِالسَّوَادِ مُبَالَغَةً فِي شِدَّةِ خُضْرَةِ أَشْجَارِهِمَا حَتَّى تميل إلى السواد. (52)

ثالثا : قال تعالى : فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ، يقابلها قوله تعالى : ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**) ، نلاحظ أن الجري بالماء أقوى من النضخ ؛ والنضخ : فوران الماء ، وهو أقل من الجريان . (53)

رابعا : قال تعالى : ﴿ **فِيهِمَا مِن كُلِّ فٰكِهَةٍ زَوْجَانِ)** ، يقابلها قوله تعالى : ﴿**فِيهِمَا فٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ**) قال الزمخشري :عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها ، اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما، كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران، كقوله تعالى : ﴿ **مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ**)(54) ، أو لأن النخل ثمره فاكهة وطعام ، والرمان فاكهة ودواء، فلم يخلصا للتفكه .(55)

خامسا :قال تعالى : ﴿ **مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ)** يقابلها قوله تعالى :﴿ **مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**) يتكئ أصحاب هذه الجنة على ديباج ثخين ، لأنهم لا شغل لهم بوجه إلا التمتع ، وأما الاتكاء على الرفرف ، وهو ما يدل على الثياب الناعمة والفرش الرقيقة النسج ، حيث تكون الفرش المهيأة للاتكاء أفضل في تحقيق الراحة.(56)

سادسا : قال تعالى في وصف حوريات الجنة : ﴿ **فِيهِنَّ قٰصِرٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ)** يقابلها قوله تعالى : ﴿ **فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ**) بيّن الطبري أن قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿ **فِيهِنَّ قٰصِرٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ)** ، يدل على كمال العفة وقصر النظر على الأزواج ، أما في الآية الثانية : فهو وصف إجمالي دون تفصيل ، مما يبرز فرقًا بيانيًا بين الموضعين (57)

ذكر الرازي أن هذا التشبيه يحتمل وجهين : أحدهما أنّه تشبيه بصفائهما ونقائهما، والثاني أنّه تشبيه بحسن اللون، حيث يجتمع فيهما بياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت والمرجان، وصغار اللؤلؤ التي هي أشد بياضًا وضياء كبارها ، كما يظهر من سياق الآيات أن الحور في الجنتين الأوليين في قصور وليس في الخيام ؛ لأن المقابلة

البيانية تقتضي أن يكون ما يقابل الخيام هو القصور ، وعلى هذا فإن ما في القصور أبلغ حسنًا وأكمل نعيمًا مما في الخيام (58) والله تعالى أعلم.

الخاتمـــــــــة:

يتضـــح من خلال هذه الدراسة أن هذه السورة لم تُوصف بـ "عروس القرآن" ، إلا لما اشتملت عليه من وجوه الجمال التي تؤكد استحقاقها بهذه التسمية ، فقد افتتحت بذكر أعظم النعم ، وفي مقدمتها نعمة تعليم القرآن، وخلق الإنسان وإعداده لتلقي الوحي والعمل به ، كما عرضت مظاهر القدرة الإلهية في الكون، وصورت أهوال القيامة ومشاهدها، إلى جانب ما أعده للمؤمنين في الجنة، ومتضمنةً الثناء عليه تعالى وبيان عظمته ، وقد برزت في هذه السورة مظاهر متعددة من الإعجاز البياني ، من بينها أسلوب التقديم والتأخير بما يحمله من أسرار دلالية تعمق المعنى وترسخه في النفس، فضلاً عن التكرار الذي جاء بتقرير النعم وتأكيدها، كما تجلت فيها المقابلة الفنية التي أبرزت التباين بين أحوال النعيم والعذاب ، مما أسهم في تحقيق التوازن الأسلوبي ، وتوضيح المعاني؛ وكل هذه العناصر تؤكد عمق الدلالة ، وجمال البناء، والثراء البلاغي .

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــش :

[1] - ينظر: الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة
ط: 2، 1384 هـ - 17 / 151

[2]-الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط: 1- 1415 هـ ، 200/4

[3]-سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق :أحمد محمد شاكر ، محمد فؤاد عبد الباقي ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2: الثانية، 1395 هـ - 399/5 ، رقم الحديث : 3291

[4]- ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – دمشق ط: 2 ، 1418 هـ ، 27 / 194

[5]- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة ، ط :1 ، 1422هـ ، 127/1 .

6- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط: 1394هـ ، 1 / 195 .

[7]- سورة الفرقان ، الآية 60

[8]- سورة النحل ، الآية 103 .

[9]- ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر – تونس ، 198، 27 / 228 .

[10]- سورة القمر ، الآية 48 .

[11]- ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي ، 27 / 192

[12]- ينظر: المصدر نفسه ، 27 / 192

[13]- ينظر: البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق: صدقي محمد جميل ،دار الفكر – بيروت ،1420 هـ ، 10/ 75

[14]- سورة الواقعة ، الآية 7

[15]- ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين الألوسي ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط :1 ، 1415 هـ ، 128/14

[16]- سورة التوبة ، الآية:128

[17]- ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ،علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم ، المعروف بالخازن ، تحقيق: محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط 1، 1415 هـ ، 4 / 225 .

[18]- ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري ، دار الكتاب العربي - بيروت
ط 3 ، 1407 هـ ، 443/4 .

[19]- ينظر البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، تحقق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر - بيروت
ط: 1420هـ ، 10 /54 .

[20]- سورة الواقعة ، الآية : 77 ــ 78

[21]- ينظر : التحرير والتنوير، لابن عاشور ، 27/ 237

[22]- سورة الفتح ، الآية : 29

[23]- ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ، 27/ 245

[24]- ينظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، فاضل السامرائي ، دار عمار ، عمان ،ط 3، ص522

[25]- سورة الجن ، الآية :9

[26]- سورة الحجر ، الاية:27

[27]- سورة الذاريات ، الآية :56

[28]- ينظر : لسان العرب ، لابن منظور ، 5 / 135 ،مادة كرر

[29]- ينظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ، تحقيق : يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية، بيروت ،ص 35 .

[30]- سورة القارعة ، الآيتان : 1 – 2

[31]- سورة المؤمنون ، الآية : 36

[32]- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية, أيوب الحسيني الكفوي, تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري, مؤسسة الرسالة – بيروت, ص-297.

[33]- ينظر: البرهان في علوم القرآن , أبو عبدالله الزركشي, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار إحياء الكتب العلمية, ط-1, 1376ه-1957م ، 3 / 11.
[34]- سورة القصص ، الآية : 51
[35]- ينظر: الاتقان في علوم القرآن, للسيوطي , 3 / 222.
[36]- ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير, أبو عبد الله الرازي, دار إحياء التراث العربي – بيروت, ط-3, 1420ه, 29/ 341.
37 - ينظر: التحرير والتنوير, لابن عاشور, 27 / 246.
38- ينظر: تأويل مشكل القرآن, أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري, تحقيق: إبراهيم شمس الدين, دار الكتب العلمية، بيروت, ص-151.
39- فتحُ البيان في مقاصد القرآن, أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري, المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا, 1412ه-1992م, -13/ 319.
[40]- ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل, محمود بن حمزة بن نصر الكرماني, دار القبلة للثقافة الاسلامية-جدة, 2, / 1169.
[41]- لسان العرب ، لابن منظور ، 540/11
[42]- إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني ، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر ، ط :5 ، ١٩٩٧م ، ص87
[43]- : الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العنصرية – بيروت ، 1419 هـ ، ص : 337
[44]- سورة آل عمران ، الآية 106
[45]- سورة الطور ، الآية : 14
[46]- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة و النشر بيروت - لبنان ، 1415 هـ - ١٩٩٥ م ، 7 / 504
[47]- سورة السجدة ، الآية 20
[48]- سورة فاطر، الآية 28
[49]- ينظر : مفاتيح الغيب ، للرازي ، 29 / 369
50- ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ، 27 / 266
[51]- سورة يونس ، الآية: 26
[52]- ينظر : التحرير والتنوير، لابن عاشور ، 27 / 271
53- ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين البيضاوي ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط :1 ، 1418هـ ، 5/ 175
[54]- سورة البقرة ، الآية : 98
[55]- ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، للزمخشري ، 4 / 453
[56]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن أبي بكر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، 19/ 192
[57]- ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري ، 23 / 63
[58]- ينظر : مفاتيح الغيب ، للرازي ، 29 / 376